

إشكالية الوحدة: بعد نهاية الحرب الباردة الثانية سنة 1989، تفكك المعسكر الاشتراكي، وانتهى نظام القطبية الثنائية، وصار العالم يعيش تحت هيمنة نظام القطبية الواحدة الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية. فما هي العوامل التي ساهمت في تفكك المعسكر الاشتراكي؟ وما هي خصائص النظام الدولي الجديد؟ وما هي مظاهر الهيمنة السياسية والعسكرية لنظام القطبية الواحدة على العالم؟ وما هي أشكال الردود المعارضة لنظام القطبية الواحدة؟
I. مظاهر انهيار المعسكر الاشتراكي والتحويلات الناتجة عنه.

(1) مظاهر تفكك المعسكر الشرقي في ألمانيا والاتحاد السوفياتي.
نصت اتفاقية توحيد الألمانيتين الموقعة في 5 ماي 1990 على : توحيد ألمانيا الديمقراطية الشرقية وألمانيا الاتحادية الغربية في دولة واحدة عاصمتها برلين بعد تحطيم الجدار الفاصل بينهما ثم ترسيم الحدود مع بولونيا، والتزام ألمانيا الموحدة باحترام سيادة الدول المجاورة، والتزام الاتحاد السوفياتي بسحب قواته العسكرية، وتعهد فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية بانسحابهما من كل التراب الألماني. وقد ساهم توحيد ألمانيا في دفع باقي الدول المكونة للاتحاد السوفياتي إلى الاستقلال.
قيام رابطة الدول المستقلة وبداية تفكك الاتحاد السوفياتي : أعلنت جمهوريات بيلاروسيا وروسيا وأوكرانيا - بصفتهم الدول الأساسية التي أسست للاتحاد السوفياتي سنة - 1922 في منسك في 8 دجنبر 1991 ما يلي: عدم الاعتراف بالاتحاد السوفياتي في القانون الدولي ولا في الواقع السياسي + إقرار توقيع اتفاقيات ثنائية بين دول الرابطة للتعاون الاقتصادي والثقافي والعلمي والصحي وغيرها + التزام دول الرابطة بالتعايش السلمي وحسن الجوار واحترام السيادة والاستقلال + التزام دول الرابطة باحترام مبادئ الأمم المتحدة واتفاقية هلسينكي المؤكدة على احترام حقوق الأقليات والقوميات.

الإعلان عن نهاية الاتحاد السوفياتي: أعلن ميخائيل غورباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفياتي في خطابه في 25 دجنبر 1991 عن نهاية الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة واحترامه للاختيارات الجديدة للدول التي كانت الاتحاد السوفياتي سابقا، وتعهد بعدم استعمال القوة العسكرية للتدخل في الشؤون السياسية الداخلية للشعوب والقوميات التي أسست رابطة الدول المستقلة - أرمينيا + أذربيجان + روسيا البيضاء + استونيا + جورجيا + كازخستان + قرغيزستان + لاتفيا + لتوانيا + مولدافيا + روسيا + طاجيكستان + تركمستان + أوكرانيا + أوزبكستان -.

(2) مظاهر تفكك المعسكر الاشتراكي في باقي دول أوروبا الشرقية : استقلت هنغاريا من المعسكر الاشتراكي وألغت نظام الجمهورية الشعبية، واعتمدت النظام السياسي الليبرالي التعددي القائم على الدستور والتداول السلمي للسلطة عبر تنظيم الانتخابات والفصل بين السلط، كما أعلنت تشيكوسلوفاكيا عن استقلالها من المعسكر الاشتراكي خلال ثورة سياسية هادئة ألغت نظام الجمهوريات الشعبية وأسست النظام الحر التعددي ونظمت الانتخابات التشريعية الحرة، وانقسمت في 1 يناير 1993 بشكل سلمي إلى دولتين : جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا. وقد حصلت نفس التحويلات في كل من رومانيا وبولونيا وبلغاريا. وبذلك انتهى المعسكر الاشتراكي.

خلاصة مركزية: ساهمت النفقات الاقتصادية والمالية الهائلة للاتحاد السوفياتي على الترسانة العسكرية وعلى دعم الحركات والتنظيمات الشيوعية وعلى الحروب الإقليمية بدول العالم الثالث وكذا الإصلاحات الاقتصادية والسياسية الليبرالية التي قام بها غورباتشوف بعد وصوله إلى الحكم سنة 1985.. في تفكك المعسكر الاشتراكي، واستقلال الدول المكونة له، ونهاية نظام القطبية الثنائية وظهور النظام العالمي الجديد القائم على القطبية الواحدة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.
II. خصائص النظام العالمي الجديد.

(1) مفهوم النظام العالمي الجديد: أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش سنة 1991 عنتأسيس نظام عالمي جديد NEW WORLD ORDER، ومثل ذلك نهاية نظام القطبية الثنائية والحرب الباردة، وبداية عهد جديد تشرف عليه وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية في إطار نظام القطبية الواحدة.

(2) مبادئ النظام العالمي الجديد.
تتجلى أسس النظام العالمي الجديد حسب قرارات مؤتمر قمة أعضاء مجلس الأمن في 31 يناير 1992 فيما يلي :
اعتماد الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية ونزاهة الانتخابات أساسا للعلاقات بين الدول + تقوية دور مجلس الأمن وصلاحيات الأمين العام للأمم المتحدة من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار الدوليين + احتواء النزاعات الدولية بالطرق السلمية والدبلوماسية من خلال تحركات الأمين العام أو عن طريق الجهات التي يكلفها بذلك + تنسيق الجهود والقرارات لردع الدول الخارجة عن توجهات والتزامات المجتمع الدولي.

(3) بعض مميزات النظام العالمي الجديد:
• دبلوماسية: تزايد دور الأمم المتحدة في تسوية مشاكل ما بعد الحرب الباردة، كإزالة سلاح الإطراف المتحاربة، ونزع الألغام، وتقديم الرعاية الصحية والإنسانية للاجئين، ورعاية العمليات الانتخابية والديمقراطية، والحرص على حماية حقوق الإنسان، إلا أنها لم تتمكن إلى حدود اليوم من حل الكثير من النزاعات الدولية كقضية فلسطين مثلا.

• سياسيا: هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم بقراراتها الخاصة، أو بتوجيه قرارات الأمم المتحدة لمصالحها وذلك بحضورها المكثف في اللقاءات والمؤتمرات الدولية وفرضها الحصار والعزلة على الدول المعارضة لسياساتها.
• عسكريا: حل الأحلاف العسكرية الاشتراكية السابقة - حلفوارسو - والاتحاد دوله بحلف الشمال الأطلسي + إقامة القواعد العسكرية الأمريكية في مناطق مختلفة من العالم وخاصة في الشرق الأوسط - كالكويت والسعودية وقطر + ... الضغط على الدول المنتجة للسلاح وخاصة النووي كإيران وكوريا الشمالية.

• اقتصاديا: انتشار نظام العولمة الذي تقوده الشركات المتعددة الجنسية والتكتلات الاقتصادية الجوهية الكبرى، واحتكارها

للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتزايد حدة الفقر والأمية والأمراض بدول العالم الثالث، واتساع هوة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بين دول الشمال والجنوب.

ثقافيا: هيمنة العولمة الثقافية الغربية والأمريكية تحديدا، وتسخيرها لآليات إعلامية وفنية ولغوية لفرض نفوذها وتهديد وجود الهويات الثقافية الجهوية والمحلية على الصعيد العالمي.

أمنيا: تزايد التهديدات الإرهابية على الصعيد العالمي للمصالح الغربية والأمريكية تحديدا.

بيئيا: تزايد التحديات البيئية التي تواجه العالم كالاحتباس الحراري والتصحر والتغيرات المناخية والأعاصير والفيضانات والتلوث

خصائص عامة: تزايد الحروب الأهلية والإقليمية بأسباب دينية أو عرقية أو اقتصادية ... مثل باكستان، الصومال، رواندا بروندي، رواندا وحاليا العراق وأفغانستان... ثم تنامي الهجرة القسرية بسبب الحروب والفقر والكوارث الطبيعية... وتزايد التوتر السياسي في الشرق الأوسط والقوقاز والبلقان وإفريقيا الوسطى.

III. وسائل هيمنة القطب الواحد على العالم.

(1) الوسائل السياسية والدبلوماسية:

يوظف القطب الواحد-الولايات المتحدة الأمريكية – قرارات مجلس الأمن للسيطرة على العالم، وذلك بفرض الحصار الاقتصادي على الدول المعارضة للسياسة الأمريكية، كإيران وكوريا الشمالية وكوبا وسوريا والسودان وغيرها، ومنع الشركات المتعددة الجنسيات من الاستثمار في هذه الدول.

تسحب الولايات المتحدة الأمريكية دبلوماسيتها من الدول التي تعتبرها متمردة على سياساتها، وتجمد الأرصدة المالية للشخصيات السياسية المهمة وتمنعها من التنقل لحضور المنتديات الدولية.

تقتل الولايات المتحدة الأمريكية مبررات متنوعة قصد التدخل في المناطق العالمية، كقضايا حقوق الإنسان والديمقراطية، أو الفساد السياسي والإداري، والتعاطي للصناعة النووية، وتزايد أنشطة تهريب المخدرات أو تدمير البيئة أو مبرر احتضان الحركات الإرهابية وغيرها.

توجه الولايات المتحدة الأمريكية القرارات الأممية بما يمتثل ومصالحها، وتتجاوز الشرعية الدولية في الحالات التي لا تنسجم معها، كاحتلالها للعراق وأفغانستان. وبذلك أصبحت تفرض قوتها على خصومها السابقين كروسيا والصين ودول أوروبا الشرقية وحتى على حلفائها في أوروبا الغربية واليابان.

(2) الوسائل العسكرية:

توظف الولايات المتحدة الأمريكية لبنود الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة لتبرير تدخلها في المناطق العالمية:

فالمادة 41 من الميثاق الأممي تنص على اتخاذ عقوبات اقتصادية وخدماتية ودبلوماسية لإرغام الدول المتمردة على احترام القانون الدولي وإرادة المجتمع الدولي في الأمن والاستقرار، وفي حالة تماديها فيما يهدد السلم والأمن الدوليين فإن المادة 42 من ميثاق الأمم المتحدة تجيز لمجلس الأمن الدولي استعمال القوة العسكرية الشاملة البرية والبحرية والجوية لردع الدول المتمردة.

أفراد الولايات المتحدة بالقرارات العسكرية دون الالتزام بالشرعية الدولية، بحكم قوتها الاقتصادية والعلمية والعسكرية في مجال الاستخبارات والتجسس الإلكتروني والمراقبة بواسطة الأقمار الاصطناعية والعدة الحربية المتطورة من السفن والطائرات والمدفعية والصواريخ الرشاشات...، وبذلك تنفوق على حلفائها وعلى أعدائها، مما يدفعها إلى القيام بالعمليات الحربية في إطار حلف الشمال الأطلسي أو بشكل انفرادي ضد الجهات المعارضة لإرادة الولايات المتحدة الأمريكية.

تزايد حملات الولايات المتحدة الأمريكية في العالم بعد نهاية الحرب الباردة: شنت الولايات المتحدة الأمريكية تحت راية الأمم المتحدة حملة عسكرية شنيعة على العراق سنة 1991 أعقبها حصار اقتصادي ساحق إلى غاية سنة 2003، لتعود الولايات المتحدة وحلفائها إلى احتلال العراق دون موافقة الأمم المتحدة. كما تدخلت عسكريا بشكل منفرد في الصومال خلال سنتي 1992-1994 وفي سنة 1999 أقحمت حلفا الشمال الأطلسي في حملتها العسكرية على يوغوسلافيا، كما شنت غزوا عسكريا بغطاء أممي على أفغانستان في سنة 2001 وفي الفترة الحالية يخوف المجتمع الدولي من تداعيات التهديدات والضغوط التي تشنها ضد إيران وكوريا الشمالية وسوريا.

IV. أشكال ردود الفعل على هيمنة القطب الواحد على العالم.

(1) الردود المعارضة داخل مقر الأمم المتحدة: تحاول دول العالم الثالث التي تعاني من تدخلات الولايات المتحدة الأمريكية المتعددة والمتكررة، تتسابق جهودها السياسية والدبلوماسية داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة، داعية إلى إحداث إصلاحات نوعية في هيكله ووظائف الأمم المتحدة، لإقامة نظام عالمي ديمقراطي وعادل. كما برزت تباينات داخل مجلس الأمن الدولي في قرار احتلال العراق سنة 2003 حيث لقيت الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا معارضة صاخبة من روسيا وألمانيا وفرنسا. كما يحصل الاختلاف حاليا بين الدول الخمس المالكة لحق الفيتو في مجلس الأمن بخصوص قضية السلاح النووي في إيران وكوريا الشمالية.

(2) ردود الدول خارج مقر الأمم المتحدة: تشن دول أمريكا الجنوبية التي وصلت فيها الأحزاب اليسارية إلى السلطة- فنزويلا+ البرازيل + نيكاراغوا+ كوبا... وكذلك المحافظين في إيران، حملة سياسية وإعلامية واقتصادية شرسة ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

(3) ردود المجتمع المدني العالمي: تتنامى المعارضة المدنية – جمعيات + أحزاب + نقابات + لجان – الإعلام... التي تقودها النخب الفكرية والفنية والإعلامية وغيرها في جميع دول العالم بل حتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية، داعية إلى تجسيد نظام عالمي تعددي وديمقراطي وحقوقى يلتزم بالشرعية الدولية، وإنهاء سلطة وتسلط الولايات المتحدة الأمريكية على العالم.

خاتمة مناسبة: بعد نهاية نظام القطبية الثنائية أصبحت العلاقات الدولية رهينة املاءات الولايات المتحدة قائدة النظام العالم الجديد في الوقت الراهن